بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ المجلس (٠٠٣)

المقدمة الثالثة وفيها تتمة فوائد علم التاريخ وترجمة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[تتمة فوائد علم التاريخ]

أما بعد: فكنا قدمنا بمقدمة بين يدي هذا الكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ذكرنا فيها بعض مبادئ هذا العلم، وتتمة لهذه التقدمة رأيت أيضا أن أضيف فوائد أخرى ذُكرت في هذا العلم، وهي فوائد جديرة بأن ينتبه لها المسلم، وبخاصة طالب العلم، فأذكرها بإيجاز واختصار.

فمن الفوائد المهمة التعرف على الأمور على وجوهها، أي الأمور المذكورة في التاريخ التعرف عليها على وجوهها.

ومن الفوائد مما يتعلق بالأحكام الشرعية معرفة متقدّم الأخبار من متأخرها للاطلاع على الناسخ من المنسوخ.

ومن الفوائد أيضا ما يتعلق بعلم الإسناد، فيُعرف اتصال السند بالنسبة للرواة، يُعرف بالنسبة للمختلط، من روى عنه قبل الاختلاط، ومن روى عنه بعد الاختلاط، يُعرف من أدرك من روى عنه، ومن لم يدركه، يُعرف هل اتصل به بلقاء وسماع أو لم يتصل به، يُعرف هل عاصره فقط وليس بينهما رواية، أو ليس كذلك، فهذا العلم جدّ مهم في علم الحديث، قال الإمام الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(لما استعمل لنا**

الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ)[١]، وقال بعضهم **(لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ)** فعلم التاريخ يبين كذب الكاذبين، ولهذا جاء في بعض الآثار قولهم **(خرج علينا ابن مسعود يوم صفين)**، وصفين كانت في زمن علي ﷺ وكان ابن مسعود توفي سنة ٣٢هـ فهذا الخبر لا شك ولا ريب أن فيه الخطأ الظاهر.

ومن الفوائد كذلك التمييز بين الرواة المتفقين، قد تجد راويا اسمه فلان بن فلان، وآخر كذلك له نفس الاسم لكن بينهما مفاوز، وبينهما سنوات، فالعلم بالتاريخ يميز لك المتقدم من المتأخر.

وكذلك من فوائد التاريخ معرفة الأخبار على حقيقتها، وتوثيق ما ينقل من الأخبار، وقع في زمن الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ أن جماعة من اليهود أتوا بوثيقة يدعون أنها موصولة إلى النبي ﷺ، وهذه الوثيقة كتبوا فيها: إن النبي ﷺ أسقط عنهم الجزية يوم خيبر، فحيّرت الناس!، يعني اليهود يطالبون أن تسقط عنهم الجزية فقد أسقط نبيكم عنهم، وهذه الوثيقة، فقدّمت الوثيقة وعُرضت على الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ فقال: هذه مزوّرة، قالوا: وكيف عرفت؟ قال: يزعمون أنها بخط علي، وفيها شهادة معاوية وإنما أسلم معاوية عام الفتح، وخيبر كانت بعدها، وفيها ذكر سعد بن معاذ، وإنما توفي زمن بني قريظة وكانت قبل خيبر بسنتين، فعُلم بالتاريخ كذب وزور هذه الوثيقة.

وقصّة أخرى ذكرت عن الشافعي وأن المأمون قال: أريد أن أختبر الشافعي وأختبر عقله، قال: فاختبرته فلم أجد عليه شيء، فقلت أعطيه النبيذ يشربه لعله أن يذهب عقله، فشربه فلم يذهب عقله! قالوا: هذا كذب لأن الشافعي دخل مصر سنة ٢٠٠هـ وفيها كان المأمون بخرسان، وتوفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ٢٠٤هـ وكان فيها المأمون بالعراق، فكيف لقيه؟ أضف إلى ذلك أن الشافعي يقول **(لو أنه كان في شرب الماء البارد أو الحار ما يذهب المروءة ما شربته)** فكيف يقال إنه يشرب النبيذ، هذا بعيد جدا.

من فوائد التاريخ إعطاء صاحب الحق حقه، ومن اللطائف أن أحد العلماء وهو ابن عمّار المالكي كان بالشام يدرّس المالكية، فقيل له: إن شرط هذه المدرسة لا يدرّس فيها إلا من جاوز الأربعين، فلما بحث

---

[١] رواه الخطيب في الكفاية ص ١١٩.

في تاريخ ولادته له خمس وأربعون سنة، فكان له الحق في التدريس، فلا يستطيعون أن يمنعوه لأن شرط الواقف متحقق فيه رَحِمَهُ اللهُ.

وكذلك من فوائد التاريخ معرفة ضبط الراوي، يقول: أول حديث سمعته كذا، وآخر حديث سمعته كذا، وأول ما سمعته في منطقة كذا، فهذا مما يُضبط به ضبط الراوي ويُعرف، ولهم في ذلك نقول وأخبار كثيرة، أول مولود في الإسلام، وأول مولود في المدينة، وأول مولود في عهد الأنصار، وأول مولود للمهاجرين، وأول من رمى بالسهم في سبيل الله، وأول كذا وآخر كذا، كله مرجعه إلى التاريخ، فيُضبط به، ويُعرف ضبط الراوي من غيره.

وكذلك يستفاد من التاريخ ما يتعلق بالمتون، وما يستفاد منها من أحكام شرعية، فإن من الأحكام الشرعية صيام رمضان ويضبط بالهلال، ومرجعه إلى التاريخ، وصيام ست من شوال والأيام البيض ويوم عاشوراء، ويوم عرفة، ويضبط هذا بالتاريخ، ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ}البقرة١٨٩، فيه إشارة إلى علم التاريخ لضبط الأوقات والساعات، وغير ذلك.

ومن فوائده ما فيه من ذكر أخبار الأنبياء والرسل والملوك والساسة والعلماء والأدباء والشعراء، وما تركوه وما خلّفوه من خيرات، فيبقى لهم الذكر الحسن فيأتسي بهم الواحد ليبقى له الذكر الحسن، وقد قال ربنا تعالى في حق إبراهيم ﷺ أنه قال {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}الشعراء٨٤، أي أن يُذكر بخير وهذا مما يستفاد في معرفة أخبار هؤلاء، فيدفع بك إلى التأسي بهم، ولهذا ذكر بعض من كان في زمن الخطيب البغدادي قال (**تمنيت لو ذكرني الخطيب في تاريخه، ولو في زمرة الكذابين**) المهم يُحفظ، وأحدهم في زمن السخاوي قال: ليتني مت حتى يكتبني السخاوي في تاريخه -أو في كتاب التراجم- أو يشير إليه، رحمة الله تعالى على الجميع، لهذا قال الشافعي في التاريخ (**من حفظه زاد عقله**) وقيل قد أشير للتاريخ بالآية {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ}.

كذلك من الفوائد ذكر قصص الماضين، وفي ذكر قصص الماضين التأسي بهم، وتثبيت النفوس وتهذيبها وتأديبها، وإحياء ذكر الاجتهاد فيها، باتباع الخيرات، وفعل أهل الخير واجتناب فعل أهل الشر، وفي

الأحاديث ما يدل على هذا كقول نبينا ﷺ (رحم الله موسى أوذي أكثر مني فصبر)[2]، أو أكثر من ذلك، لما جاء الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال (اعدل فإنك لم تعدل) والنبي ﷺ عنده خبر من أخبار موسى قال (رحم الله موسى أوذي أكثر من ذلك فصبر) وكذلك عائشة رضي الله عنها لمّا اتّهمت قالت (وكنت صغيرة لا أقرأ كثيرا من القرآن غير أني أحفظ من سورة يوسف فقالت: ما أجد لي ولكم إلا ما قال أبو يوسف لأبنائه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)[3]، ائتست بخبر، وما نقل من التاريخ السابق.

وكذلك من الفوائد معرفة سيرة الأخيار واتباعها، ومعرفة سيرة الأشرار واجتنابها.

ومن الفوائد كذلك أيضا الاطلاع على عجائب الأمور ومتقلباتها في السابقين وما وقع لهم منها.

هذه بعض الفوائد وغيرها كثير يذكرها أهل العلم في فوائد التاريخ، أردت أن تشاركوني في الاستفادة منها وإفادتها.

[حول كتب التاريخ]

نرجع إلى كتابنا "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لمؤلفه الإمام المبارك بن محمد الميلي رحمه الله، وكتب التاريخ كثيرة من أقدمها ما كتبه أهل المغازي "**المغازي والسير**" لابن إسحاق، ومن قبلها لعروة بن الزبير، وكذلك لغيرهم، كانت هي في المغازي والسير، وبعد ذلك جاءت كتب التواريخ، "**تاريخ خليفة الخياط**"، وغيره من كتب التاريخ، تؤرّخ في سيرة ومغازي النبي ﷺ، وألفوا بعد ذلك كتبا في تواريخ البلدان، "**تاريخ مكة**" و"**تاريخ المدينة**" لابن شبّة، و"**تاريخ مكة**" للأزرقي، وأيضا تاريخ مدن أخرى "**تاريخ حلب**"، و"**تاريخ واسط**"، و"**تاريخ جرجان**"، وكذلك كتب أخرى في التواريخ تشمل الرواة، وما ذكر فيهم من تراجم، "**التاريخ الكبير**" للبخاري، و"**التاريخ الأوسط**" له أيضا و"**الصغير**" وقيل هما واحد، وكتب أخرى كثيرة ألفها أهل التاريخ في هذا الموضوع، فكتابنا الذي نقرأه هو من تواريخ البلدان، وبالأخص تاريخ بلدنا.

---

[2] أخرجه البخاري (٦٠٥٩)، ومسلم(1062)
[3] أخرجه البخاري (4690)

[ترجمة المؤلف رحمه الله]

نسبته: قبل أن نشرع في قراءته لابد من ترجمة لمؤلفه، فنذكرها ونستفيد إن شاء الله تعالى منها، المؤلف هو الإمام مبارك بن محمد الهلالي الميلي، والهلالي نسبة إلى قبائل بني هلال، وبالأدق نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وهو جد القبائل العربية التي نزحت إلى شمال إفريقيا وذلك في أواسط القرن الخامس الهجري، وأما الميلي فنسبة إلى مدينة ميلة، وهي إحدى مدن الشرق الجزائري، تبعد عن قسنطينة بنحو ٥٠ كيلو متر تقريبا، وقد نسب إليها علماء كثيرون، منهم مؤلف الكتاب، ومنهم أبو زكرياء يحي بن موسى الميلي رَحِمَهُ اللهُ وهو من العلماء، وهو مقرئ من المقرئين، مقرئ بجاية في وقته، وكذلك غيره رحمة الله على الجميع.

ولادته وبداية حياته العلمية: ولادة مبارك الميلي كانت في ٢٣ من الشهر الخامس سنة ١٨٩٦م في منطقة دوار أولاد مبارك، وفي قرية من القرى وهي قرية الميلية من أحواز قسنطينة، وهذه الميلية هي قرية حادثة جديدة كانت في زمن وعصر المستدمر الفرنسي، وهي شمال ميلة بنحو ٥٠ ميلا عصريا، والميلي رَحِمَهُ اللهُ تربى يتيما قد توفي والده وسنه لم يتجاوز الأربع، فقام بكفالته جده وكذلك عمّاه، وانتقل بعد ذلك إلى ميلة فحفظ بها القرآن، في جامع سيدي عزوز، ثم أخذ مبادئ الشريعة، ومبادئ اللغة العربية، على الشيخ محمد ميلي بن معنصر -يعني من جهتهم- ثم التحق بمعهد عبد الحميد بن باديس، بالجامع الأخضر بقسنطينة، فتعلم على ابن باديس، وكان من أنجب تلاميذه وانتفع به انتفاعا كثيرا بل كان من أشد الناس تأثرا به وتأثيرا هو فيه.

وبعدها سافر بجامع الزيتونة بتونس، وتعلم هناك وتتلمذ على خيرة العلماء، كالشيخ محمد النّخلي، والشيخ محمد صادق النّيفر، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وغيرهم، ثم تخرج بشهادة التطويع سنة ١٩٢٤م، يعني وعمره ٢٨ سنة تقريبا.

نشاطه العلمي: وبعد ذلك رجع إلى البلد من تونس وبدأ في التعليم في مسجد يسمى بـ"مسجد سيدي بومعزة" في مقر المكتب العربي بقسنطينة رَحِمَهُ اللهُ، وبعد ذلك كان له نشاط كثير موزع على تخصصات كثيرة، ففي سنة ١٩٢٥م أسست جريدة "المنتقد" ثم "الشهاب" فكان يشارك فيها بمقالات، وسنة ١٩٢٦م

انتقل إلى مدينة الأغواط دعاه أهلها فأجابهم، وأسس فيها مدرسة "الشبيبة" وتخرج منها على يديه تلاميذ كثر، وطلاب كثر.

في سنة ١٩٣١م أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان عضوا فيها منتخبا في مجلس إدارتها، وكان أمين المال، وبعدما قضى بالأغواط سبع سنوات في إدارة المكتب العربي بها رجع إلى ميلة وأنشأ مسجدا جامعا وتولى التدريس فيه والخطابة، وأنشأ مدرسة "الحياة" أشرف على التعليم فيها، أو على سير التعليم فيها، وأنشأ "نادي الإصلاح" كان يلقي فيه المحاضرات، ثم أسند له رئاسة تحرير جريدة البصائر، ولسان الحال لجمعية العلماء، وذلك بعد أن تخلى منه الشيخ الطيب العقبي ابتداء من العدد ٨٤ الصادر بتاريخ ٢٤ شعبان ١٣٥٦هـ الموافق ١٩ الشهر عشرة ١٩٣٧م، فقام بهذه المهمة رَحِمَهُ اللهُ ودام عليها إلى سنة ١٩٣٩م.

في سنة ١٩٤٠م بعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس خلَفَه، صار خليفة له في الدراسة العلمية للطلبة إلى نهاية السنة لدراسية لأن نائب الرئيس الذي هو محمد البشير الإبراهيمي كان منفيا في مدينة آفلو، نفاه المستدمر الفرنسي، ثم كان مبارك الميلي رَحِمَهُ اللهُ صحته لا تساعده على الاستمرار في هذه المسؤولية، فتحول إلى التدريس من قسنطينة إلى تبسة رَحِمَهُ اللهُ وتكفل بهذه المسؤولية زميله العربي تبسي رَحِمَهُ اللهُ.

شيوخه: أما شيوخه فكثر، ومنهم الشيخ محمد الميلي أول من تعلم عليه، وكذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبتونس الشيخ محمد النّخلي، ومحمد الصادق النيفر، وبلحسن نجّار، ومحمد الطاهر بن عاشور، وغيرهم، وكان أكثرهم تأثيرا فيه الإمام ابن باديس.

تلاميذه: وكذلك خلف تلاميذ كثر بقسنطينة والأغواط وميلة، ومن أبرزهم خريجوا مدرسة الأغواط كالشيخ أحمد الشطة توفي سنة ١٩٥٨م، والشيخ أبو بكر الحاج عيسى الأغواطي توفي سنة ١٩٨٧م، والأستاذ أحمد قصيبة توفي سنة ١٩٩٤م رحمة الله تعالى على الجميع.

أخلاقه: ونقل تلامذته شيئا من أخلاقه رَحِمَهُ اللهُ فقال أحمد قصيبة: كان رَحِمَهُ اللهُ قوي الإرادة يغلب على أعماله الجد مع الصراحة، وكان ذا شجاعة أدبية متصلبا في الحق دقيق الملاحظة، وكان يحب العمل الدائم المتواصل، وكان يكره الكسل ويمقت الكسالى من تلاميذه أو من زملائه، ورغم تشدده فكان أيضا

كريم النفس فكاهي النكتة قويها، حسن المعاشرة حييا بشوشا محبا لتلاميذه، محترما لأصدقائه مراعيا لأحوالهم ونفسياتهم، كان طاهر القلب متواضعا مفرطا في التواضع، يشعر بذلك تلاميذه وسامعوه، فكان لا يقول لهم (**هل فهمتم؟**) بل يقول (**أفهمنا؟**) يعني من شدة التواضع.

ومن أجمل ما في تواضع الميلي أنه كان يجيب جميع من يكاتبه مهما كان شأنه، ومهما كان موضوع الرسالة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رغم غزارة علمه واعتداده بنفسه يكره الإعلان عن شخصه، وكانت نفسه تنفر من سماع الشكر والمديح، وكثيرا ما يفر من مواطن التفاخر والمباهاة والظهور، ولا يحب أن يلفت الأنظار إليه.

عقيدته: أما عقيدته رحمه الله، فكان على عقيدة السلف كان مصلحا سلفيا عالما سنّيا متمسكا بما كان عليه السلف الصالح، على عقيدة أهل السنة والجماعة مجتنبا لأهل البدع والكلام، وخرافات المتصوفة، ويدل على ذلك رسالته، رسالة "الشرك ومظاهره" تلقاها العلماء بالقبول، لما تضمنته من العقائد النقية المدعّمة بالأدلة من الكتاب والسنة والآثار السلفية.

ولهذا قال الشيخ الطيب العقبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب (**هذا الكتاب القيم الوحيد في بابه، والذي لم يُسبق لعالم جزائري أن ألف في موضوعه، فجاء برهانا على ما في الجزائر اليوم، من نهضة علمية إصلاحية، ودعوة إلى عقيدة الحق السلفية، حقق بها المؤلف أجزل الله له المثوبة جميع أبواب المسائل التي يكثر الخوض فيها بين السلفيين وخصومهم وأعطى به خير سلاح لكل مصلح يقتني نسخة منه بشرط الفهم في محاربة خصومه، وبالجملة فهو العقيدة الإسلامية الخالصة، والدعوة الإصلاحية الواضحة، ولهذا قررت جمعية العلماء نشره باسمها بعد الموافقة على كل ما فيه ليكون سببا في بيان دعوتها، وحجة ناهضة ضد كل من وقف في طريقها**) هذا كلام الطيب العقبي في جريدة البصائر العدد ٨٣، يعني نحو ١٩٣٩هـ.

قال الشيخ أبو علي الزواوي، من علماء الجزائر شابّ الشيوخ وشيخ الشباب يسمونه! قال (**الأستاذ مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي الذي لو كنت من الدائنين بالحلول -يعني ممن يدين بعقيدة الحلول حلول الأرواح في الأرواح، وهذا مجرد سياق كلامي- لقلت إن شيخ الإسلام ابن تيمية قد حلّ فيه، ولكن**

أدين أن الله تعالى لا يحتاج إلى روح ابن تيمية ليجعلها في دماغ الميلي ولا أن يغرسها في قلبه، بل يخلق ما يشاء) رَحِمَهُ اللهُ البصائر العدد ٩١.

ثناء أهل العلم عليه: أما ثناء أهل العلم عليه قال أمير البيان شكيب أرسلان رَحِمَهُ اللهُ -وسيأتي هذا الكلام أيضا- **(وأما تاريخ الجزائر فوالله ما كنت أظن في الجزائر من يفري هذا الفري)** أي يعمل هذا العمل البالغ **(ولقد أعجبت به كثيرا كما أني معجب بكتابة ابن باديس. فالميلي وابن باديس والعقبي والزاهري حملة عرش الأدب الجزائري الأربعة).**

وأما البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ فله كلام طويل، أقرأه يقول فيه **(حياة كلها جدّ وعمل، وحيٌّ كله فكر وعلم، وعمر كله درس وتحصيل، وشباب كله تلقّ واستفادة، وكهولة كلها إنتاج وإفادة، ونفس كلها ضمير وواجب، وروح كلها ذكاء وعقل، وعقل كله رأي وبصيرة، وبصيرة كلها نور وإشراق، ومجموعة خلال سديدة، وأعمال مفيدة. قلّ أن اجتمعت في رجل من رجال النهضات، فإذا اجتمعت هيّأت لصاحبها مكانه من قيادة الجيل، ومهّدت له مقعده من زعامة النهضة.**

ذلكم مبارك الميلي الذي فقدته الجزائر من ثلاث سنين ففقدت بفقده مؤرّخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور، وإنارة جوانبه المظلمة، ووصل عراه المنفصمة، وفقدته المحافل الإصلاحية ففقدت منه عالمًا بالسلفية الحقة عاملًا بها، صحيح الإدراك لفقه الكتاب والسنّة واسع الاطلاع على النصوص والفهوم، دقيق الفهم لها والتمييز بينها والتطبيق لكلياتها. وفقدته دواوين الكتابة ففقدت كاتبًا فحل الأسلوب جزل العبارة لبقًا بتوزيع الألفاظ على المعاني، طبقة ممتازة في دقة التصوير والإحاطة بالأطراف وضبط الموضوع والملك لعنانه. وفقدته مجالس النظر والرأي ففقدت مدرهًا) المدره زعيم القوم وخطيبهم، والمدره أيضا لسان القوم والمتكلم فيهم **(لا يبارى في سوق الحجة وحضور البديهة وسداد الرمية والصلابة في الحق والوقوف عند حدوده. وفقدته جمعية العلماء ففقدت ركنًا باذخًا من أركانها لا كلًّا ولا وكلًا)** ليس كلا ثقيلا على غيره، ولا وكل يكل الأمور إلى غيره **(بل نهاضًا بالعبء مضطلعًا بما حمل من واجب، لا تؤتى الجمعية من الثغر الذي تكل إليه سده ولا تخشى الخصم الذي تسند إليه**

مراسه. وفقدت بفقده علمًا كانت تَسْتَضِيءُ برأيه في المشكلات فلا يرى الرأي في معضلة إلا جاء مثل فلق الصبح.)[4]

وقال كذلك (يشهد كل من عرف مباركاً وذاكره أو ناظره أو سأله في شيء مما يتذاكر فيه الناس أو يتناظرون أو يسأل فيه جاهله عالمه أو جاذبه الحديث في أحوال الأمم ووقائع التاريخ وعوارض الاجتماع، أنه يخاطب منه عالماً أيّ عالم، وأنه يناظر منه فحل عراك وجدل حكاك، وأنه يساجل منه بحراً لا تخاض لجته، وحبراً لا تدحض حجته، وأنه يرجع منه إلى عقل متين، ورأي رصين ودليل لا يضل، ومنطق لا يختل، وقريحة خصبة، وذهن صيود، وطبع مشبوب، وألمعية كشافة. هكذا عرفنا مباركاً وبهذا شهدنا، وهكذا عرفه من يُوثق بمعرفتهم ويُرتاح إلى إنصافهم ويطمأنّ إلى شهادتهم، لا نختلف في هذا).

وقال شاعر من شعراء البلد وهو محمد العلمي، قال قصيدة فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شرفت بك الأغواط مذ عاشرتها *** وأقول إنك حاذق وعليم
لمّا سعيت لفتح مدرسة بها *** تُحيي العقول ويزدهي التعليم
فوجدت من أهل المكارم ثلّةً *** وضعتهمُ في الأكرمين تميمُ
فرحت بطلعتك البلاد وكلّها *** هرعت إليك وأنت فيها زعيم
أخذوا العلوم نقية من كلّ ما *** تأبى الطباع أو اعتلاه سديمُ [يعني الغبار]
أمباركُ حزت المحاسن في الصبا *** والفكر فكرٌ ثاقب وقويمُ
أمباركُ بث العلوم فأنت في *** ربع السعادة ماكثٌ ومقيمُ
أهلا وسهلا بالذي أهدى المعا *** رفَ للشباب فهمّ منها نسيمُ
أهلا بمن أهدى إلينا نفائسا *** والليل ليلٌ حالكٌ وبهيمُ
أهلا بموفور الجناب ومن به *** يحي الشباب ويحسن التقويمُ
ملأ السرور محاجري وجوانحي *** لمّا رأيتك للعقول تقيمُ
ورأيت أنك ناشط ذو همّة *** ورأيت أنك فاضل وعظيم
دم للعقول مقوّما وميقظا *** حتى تزول عن البلاد غيوم

[4] "البصائر"، العدد ٢٦، السنة الأولى من السلسلة الثانية، ٨ مارس ١٩٤٨م.

مؤلفاته ومقالاته: وقد صنّف كتابين وله مقالات كثيرة، كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ورسالة "**الشرك ومظاهره**" وله الكثير من المقالات، وله أقوال جميلة وكلمات بليغة منها قوله (**أيتها الأمة الجزائرية ارجعي إلى دينك ولغتك فلن تسعدي إلا به، ولن تسعدي إلا بإحكام لغته**

تشوب هذه الذكريات التي نقيمها لرجالنا في هذا العهد شائبة نقص، إلّا تحسب علينا في باب فساد الذوق تعد من سوء الصنيع، وهي أن المتكلمين فيها والكاتبين يقيمون منها، إن ديننا خالط مزاجنا، وتمكن من شرايين أبداننا، لا تقبل ذاتنا دواء غيره مما يخالف طبيعته)، وقال (**من حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها، فقد عرّض وحدتها للانحلال، وجسمها للتلاشي، وصار هادما لعرشها بنية تشييده**)، وقال (**انتشار طرق الصوفية بين العامة في عصر دليل على تقصير علمائه في إحياء كتاب الله، وعلى ضعف الحكومة عن بسط نفوذها للأمة مباشرة، أو نقول إن سيادة المتصوفة دليل على انحطاط الأمة سياسيا وعلميا ودينيا**) قال (**إن فيل التصوّف**) التصوف جعله فيلا كلام جميل هنا فاسمع (**إن فيل التصوف كلما وجّهته نحو مكة أو المدينة برك، وكلّما وجهته إلى أثينا أو القسطنطينية نهض مهرولاً**) يعني هناك الصوفية وهناك السنة، وقال (**قد قيل المال قوام الأعمال، وأنا أقول: العلم أمير والمال وزير، فإذا فُقد الوزير ضعف الأمير عن التدبير، فاضطربت أحوال الرعية، وكان من الفناء قاب قوسين، فإن تركت الأمير وحده فقد ألقت بيدها إلى التهلكة**) الرعية إن تركتْ (**وإن أرادت النجاة، فعليها أن توجد من بينها وبينها وزيرا يشد عضد الأمير، وفي هذا المعنى جاءت الآية {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}البقرة١٩٥**).

وقال رحمه الله (**في العمل بالتاريخ الهلالي رمز إلى محافظتنا على صلاتنا بآبائنا الأولين، وبرّورنا بهم، وفي الاستغناء عن التاريخ الميلادي نفور من الاندماج، وكراهية للاحتلال الأدبي المفضي إلى ذلك المسخ الاندماجي**) يقولون بأن الجمعية كانت تقول بالاندماج[٥]!!

قال (**لا خير في حياة بلا قلم ودواة، فبها تصقل الأذهان، وتحفظ الأديان، وتسمو الأوطان، وتحترم الأبدان**).

[٥] قال الشيخ هذا بنفَس المتهكم بمن يقول هذه الدعوى، وها هو كلام الإمام مبارك الميلي صريح في إبطالها.

وقال **(إن رأس الحكمة مخافة الله، وجماع الحماقة خشية سواه، وإن سرّ التوحيد خوف الله وحده، ورجاؤه وحده، ومنبع الشرك الخوف من المخلوق والطمع فيه)**

وفاته: أصيب رَحِمَهُ اللهُ بداء السكري بعد خروجه من مدينة الأغواط، وعالجه داخل البلد وخارجه ولكن سرعان ما عاوده، حتى كانت وفاته يوم ٢٥ صفر سنة ١٣٦٤هالموافق ٠٩ -٠٢ - ١٩٤٥م، وشيّعت جنازته في موكب مهيب حضره الآلاف، وفي مقدمتهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ودفن في مقبرة ميلة بجانب شيخه محمد الميلي، ورثاه أهل العلم وأهل الفضل، وزملاؤه وتلامذته، نظما ونثرا، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.[٦]

هذا ذكر ترجمة له رَحِمَهُ اللهُ، ولعلنا نكتفي بهذا ونبدأ إن شاء الله يوم غد القراءة في هذا الكتاب مستعينين بالله عَزَّ وَجَلَّ سائلينه تبارك وتعالى التوفيق والإمداد والإعداد والنجاة، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٦] كانت الترجمة مقتبسة مع شيء من التصرف من كتاب (آثار الشيخ مبارك بن محمد الميلي) لفضيلة الشيخ أبي عبد الرحمن محمود.